مرّ على بني نهد فخرجوا مسترعقين بخالد بن الصقعب فحملت عليه فطعنته فادريته ثم ملت بالقصاصة فاخذته اسيرا فقال المصعب
خالد بن الصقعب خلا ابا ثور ان قتلك هو المحدث فقال عمرو يا هذا اذا حدثت فاستمع فانما تحدث بمثل ما اسمع ليرهب مصعب
هذه المعدية قوله مسترعقين اي مقدمين له وقوله خلا ابا ثور اي استرقنا الحلف ولم نتخلل اي لم نستر والمعدية مضر وربيعة
واياد بنو معد بن عدنان وهم اعداء اليمن في المفاخرة والتكاثر **الاصل** ومن خطبة له عم عباد الله ان من احب عباد الله
اليه عبدا اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه واعدّ القرى ليومه النازل
به فقرب على نفسه البعيد وهوّن الشديد نظر فابصر وذكر فاستكثر وارتوى من عذب فرات سهلت له موارده فشرب
نهلا وسلك سبيلا جددا قد خلع سرابيل الشهوات وتخلى من الهموم الا هما واحدا انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة
اهل الهوى وصار من مفاتيح ابواب الهدى ومغاليق ابواب الردى قد ابصر طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع
غماره واستمسك من العرى باوثقها ومن الحبال بامتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس قد نصب نفسه لله سبحانه في
ارفع الامور من اصدار كل وارد عليه وتصيير كل فرع الى اصله مصباح ظلمات كشاف عشوات مفتاح مبهمات دفاع معضلات
دليل فلوات يقول فيفهم ويسكت فيسلم قد اخلص لله سبحانه فاستخلصه فهو من معادن دينه واوتاد ارضه قد الزم نفسه
العدل فكان اول عدله نفي الهوى عن نفسه يصف الحق ويعمل به لا يدع للخير غاية الا امّها ولا مظنة الا قصدها قد امكن
الكتاب من زمامه فهو قائده وامامه يحل حيث حل ثقله وينزل حيث كان منزله **الشرح** استشعر الحزن جعله كالشعار
وهو ما يلي الجسد من الثياب وتجلبب الخوف جعله جلبابا اي ثوبا فزهر مصباح الهدى اضاء واعد القرى ليومه اي اعدّ
ما قدمه من الطاعات قرى لضيف الموت النازل به والفرات العذب وقوله فشرب نهلا يجوز ان يكون اراد بقوله
نهلا المصدر من نهل ينهل نهلا اي شرب حتى روى ويجوز ان يريد بالنهل الشرب الاول خاصة ويريد انه اكتفى بما شربه
اولا فلم يحتج الى العلل وطريق جدد لا عثار فيه لقوة ارضها وقطع غماره يقال غمر اي كثير الماء وغمار واستمسك من العرى باوثقها غماره
اي من العقود الوثيقة قال تعم فقد استمسك بالعروة الوثقى ونصب نفسه لله اي اقامها كشاف عشوات جمع عشوة وعشوة
بالحركات الثلاث وهي الامر الملتبس يقال وطاني عشوة والمعضلات جمع معضلة وهي الشدائد والامور التي لا يهتدى لوجهها
دليل فلوات اي يهتدى به كما يهتدي الركب في الفلاة بدليلهم امّها قصدها ومظنة الشيء حيث يظن وجوده والثقل متاع
المسافر وحشمه واعلم ان هذا الكلام منه اخذ اصحاب علم الطريقة والحقيقة علمهم وهو تصريح بحال العارف ومكانته من الله
تعالى والعرفان حال رفيعة شريفة جدا مناسبة للنبوة يختص الله تعالى بها من يقربه اليه من خلقه والاولياء على طبقات ثلاث
الطبقة الاولى حال العابد وهو صاحب الصلاة الكثيرة والصوم الدائم والحج والصدقة والطبقة الثانية حال الزاهد
وهو المعرض عن ملاذ الدنيا وطيباتها تقنعه الكسرة وتستره الخرقة لا مال ولا زوجة ولا ولد والطبقة الثالثة حال العارف
وهو الواصل الى الله سبحانه بنفسه لا ببدنه والباري سبحانه متمثل في نفسه تمثل المعشوق في ذات العاشق وهو ارفع
الطبقات وبعده الزاهد واما العابد فهو دونهما وذلك لان العابد معامل كالتاجر يعبد ليثاب ويتعب نفسه
ليرتاح فهو يعطي من نفسه شيئا ويطلب ثمنه وعوضه وقد يكون العابد غنيا موسرا كثير المال والولد فليست حاله من احوال
الكمال واما الزاهد فانه احتقر الدنيا وعروضها وقنياتها فخلصت نفسه من دناءة المطامع وصار عزيزا ملكا لا سلطان عليه
لنفسه ولا لغيره فاستراح من الذل والهوان ولم يبق لنفسه شيء تشتاق اليه بعد الموت فكان اقرب الى السلامة والنجاة من
العابد الغني الموسر واما العارف فانه بالحال التي وصفناها لم يستلزم مع وجودها ان يكون زاهدا لانه لا يتصور العرفان
مع تعلق النفس بملاذ الدنيا وشهواتها نعم قد يحصل بعض العرفان لبعض العلماء الفضلاء مع تعلقهم بشهوات الدنيا
ولكنهم لا يكونون كاملين في احوالهم وانما تحصل الحالة الكاملة لمن رفض الدنيا وتخلى عنها ولا يستلزم الحالة المذكورة
ايضا ان يكون على قدم عظيمة من العبادة بل الاكثار من العبادة حجاب ولكن لا بد من القيام بالفرائض وشيء يسير من النوافل
واعلم ان العارف بالله تعالى وصفاته وملائكته وكتبه ورسله وبالحكمة المودعة في نظام العالم لا سيما الافلاك والكواكب
وتركيب طبقات العناصر والاحكام وفي تركيب الابدان الانسانية فمن حصل له ذلك فهو العارف فان لم يحصل له ذلك فهو ناقص

العرفان وان انضم الى ذلك استشعار جلال الله تعالى وعظمته ورياضة النفس والمجاهدة والصبر والرضا والتوكل فقد ارتفع
طبقة اخرى فان حصل له بعد ذلك الحب والوجد فقد ارتفع طبقة اخرى فان حصل له بعد ذلك الاعراض عن كل شيء سوى
الله وان يصير مسلوبا عن الموجودات كلها فلا يشعر الا بنفسه وبالله تعالى فقد ارتفع طبقة اخرى وهي ارفع الطبقات وهناك
طبقة اخرى يذكرونها وهي ان يسلب عن نفسه ايضا فلا يكون له شعور بها اصلا وانما يكون شاعرا بالقيوم الاول سبحانه
لا غير وهذه درجة الاتحاد بان تصير الذاتان ذاتا واحدة وهذا قول قد قاله قوم من الاوائل ومن المتاخرين ايضا وهو مقام
صعب لا تثبت العقول لتصوره واكتناهه واعلم ان هذه الصفات والشروط والنعوت التي ذكرها في شرح حال العارف انما
يعني بها نفسه عم وهو من الكلام الذي له ظاهر وباطن فظاهره ان يشرح حال العارف وباطنه ان يشرح حال عارف معين
وهو نفسه عم وسياتي في آخر الخطبة ما يدل على ذلك ونحن نذكر الصفات التي اشار اليها واحدة واحدة فاولها ان يكون عبدا
اعانه الله على نفسه ومعنى ذلك ان يخصه بالطاف يختار عندها الحسن ويجتنب القبيح فكانه اقام النفس في مقام العدو واقام
الالطاف مقام المعونة التي عدّها الله سبحانه فتكثر عادية العدو المذكور ولهذا الاعتبار سمّى قوم من المتكلمين اللطف عونا وثانيها
ان يستشعر الحزن اي يحزن على الايام الماضية ان لم يكن اكتسب فيها من موجبات الاختصاص اضعاف ما اكتسبه وثالثها ان يتجلبب
الخوف اي يخاف من الاعراض عنه بان تصدر عنه ما يمحوه من جريدة المخلصين ورابعها ان يعد القرى لضيف المنية وذلك باقامة
وظائف العبادة وخامسها ان يقرب على نفسه البعيد وذلك بان يمثل الموت بين عينيه صباحا ومساء وان لا يطيل الامل
وسادسها ان يهون عليه الشدائد وذلك باحتمال كلف المجاهدة ورياضة النفس على عمل المشاق وسابعها ان يكون قد نظر فابصر
وذلك بترتيب المقدمات المطابقة لمتعلقاتها ترتيبا صحيحا يفتح العلم اليقيني وثامنها ان يذكر الله تعالى فيستكثر من ذكره
لان ذكره سبحانه والاكثار منه يقتضي سكون النفس وطمانينتها كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وتاسعها ان يروى من حب الله
تعم وهو العذب الفرات الذي سهل موارده على من اتحفه الله وجعله اهلا للوصول اليه فشرب منه ونهل وسلك طريقا لا اعثار
فيه ولا وعث وعاشرها ان يخلع سرابيل الشهوات لان الشهوات تصدي مرآة العقل فلا تنطبع المعقولات فيها كما ينبغي وكذلك
الغضب وحادي عشرها ان يتخلى من الهموم كلها لانها مكدّرات وقواطع عن المطلوب الا همّا واحدا وهو همه بمولاه الذي لذته
وسروره الاهتمام به والتفرد عما جانبه ومطالعة انوار عزته فخرج من صفة اهل العمى ومن مشاركة اهل الهوى لانه قد امتاز عنهم
بهذه المرتبة والخاصية التي حصلت له فصار مفتاحا لباب الهدى ومغلاقا لباب الضلال والردى ابصر طريق الهدى وسلك
سبيله وعرف مناره وقطع غماره وثاني عشرها ان ينصب نفسه لله في ارفع الامور وهو الخلوة به ومقابلة انوار جلاله بمرآة فكره
حتى تتكيف نفسه بتلك الكيفية العظيمة الاشراق فهذه ارفع الامور واجلها واعظمها وقد رمز في هذا الفصل ومزج بكلام
خرج به الى امر آخر وهو فقه النفس في الدين والامور الشرعية النافعة للناس في دنياهم واخراهم اما في دنياهم فكردع المفسد
وكف الظالم واما في اخراهم فكالفوز بالسعادة باعتبار امتثال الامور الالهية فقال في اصدار كل وارد عليه اي في فتيا كل مستفت له وهداية
كل مسترشد له في الدين ثم قال وتصيير كل فرع الى اصله ويمكن ان يحتج بهذا من قال بالقياس ويمكن ان يقال انه لم يرد ذلك بل اراد
ان يخرج الفروع العقلية وردها الى الاصول كما يتكلف اصحاب القول في ان حكمة القديم تعم والآلام وذبح الحيوان ردا الى اصل
العدل وهو كونه تعالى لا يفعل القبيح وثالث عشرها ان يكون مصباحا لظلمات الضلال كشافا لعشوات الشبه مفتاحا لمبهمات
الشكوك المستغلقة دفاعا لمعضلات الاحتجاجات العقلية الدقيقة الغامضة دليلا على فلوات الانظار الصعبة المشتبهة ولم يكن
في اصحاب محمد صلعم احد بهذه الصفة الا هو عم ورابع عشرها ان يقول لمخاطبه القول فيفهمه ما خاطبه به وان يسكت فيسلم وذلك
لانه ليس كل قائل مفهما ولا كل ساكت سالما وخامس عشرها ان يكون قد اخلص لله فاستخلصه الله والاخلاص لله مقام عظيم جدا وهو
تنزيه الافعال عن الرياء وان يمازج العبادة امر لا يكون لله سبحانه ولهذا كان بعض الصالحين يصيح من طول العبادة نصبا
تقشّفا فيتكحل ويدهن ليذهب بذلك اثر العبادة عنه وقوله عليه السلم فهو من معادن دينه واوتاد ارضه معادن دينه الذين
يقتبس الدين منهم كمعادن الذهب والفضة هي الارضون التي يلتقط منها واوتاد ارضه هم الذين لولاهم لمادت الارض وارتجت
باهلها وهذا من باب الاستعارة الفصيحة واهل هذا العلم يقولون اوتاد الارض جماعة من الصالحين ولهم في الاوتاد والابدال والاقطاب

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)